مفهوم التفكر في ضوء القرآن

دراسة في المصطلح القرآني

د. محمد بن زيلعي هندي

- عضو هيئة التدريس بجامعة الطائف.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (أسلوب التعريف والتنكير في القرآن الكريم وأثره في إعجازه وبيان معانيه).
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (اختيارات ابن تيمية في التفسير من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية سورة النساء. جمعاً وترتيباً ودراسة).

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**﴾، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعه على الهدى المستقيم ...

وبعد ... فإن المؤمن يرد كل شيء إلى كتاب الله تعالى، ليرى حكمه فيه، ويهتدي بهداه، ونحن اليوم أحوج ما نكون لذلك حين تشعبت الأفكار وتعددت الموارد، وزاد بهرج الباطل، فزُين وأغُري به، فضل به كثيرون، وتلقفوه دون تأمل ولا تفكر، ومن هنا جاء هذا الموضوع للتذكير بأن في رد الأفكار والنظريات إلى كتاب الله تعالى ما يكشف خباياها، ويبين حقها ويدحض باطلها.

الموضوع وأهميته

يبحث هذا الموضوع في «مفهوم التفكر» في ضوء القرآن الكريم. ويكتسب أهميته من أمور عدة، من أهمها:

١. أن التفكر عمل القلب الذي هو أشرف مكونات المخلوق الإنساني، والعناية به عناية بأهم مكونات المخلوق البشري.
٢. الأهمية الكبرى التي أولاها القرآن للتفكر، فقد جعله سبباً من أسباب إنزاله، وسبباً لبيانه وتفصيله، وعلة لورود القصص والأمثال فيه ـ كما سيأتي بيانه ـ وكفى بذلك دلالة على أهمية التفكر، وأهمية معرفة المراد به في ضوء القرآن.
٣. انصراف كثير من المسلمين للعناية بالتفكير بمفهومه الغربي، ودراسة استراتيجياته، ونظرياته، وبثه في الأمة دون ضبط له بمفهوم التفكر في القرآن.

ومن هنا جاء هذا البحث، يكشف عن عمل القلب الذي هو أعظم مضغة في الجسد، ويوليه الأهمية التي تبوأها في القرآن، ويؤسس للدراسات التأصيلية لهذا الموضوع لضبط ما يرد حوله من المناهج المخالفة للإسلام بضوابط القرآن ومفاهيمه.

أهداف الدراسة

١. بيان مفهوم التفكر من خلال دراسة ألفاظه الواردة في القرآن وسياقاتها.
٢. بيان أثر القرآن في تطور مفهوم التفكر.
٣. بيان الآثار المترتبة على مفهوم التفكر في القرآن على الإنسان والحياة.

خطة الدراسة

ويمكن الوصول إلى تلك الأهداف من خلال خطة دراسة تتكون من تمهيد، ومبحثين لبحث قضايا الموضوع، وخاتمة.

التمهيد: عن مفهوم التفكر في لغة العرب.

المبحث الأول: مفهوم التفكر في ضوء القرآن من خلال دراسة ألفاظه الواردة.

المبحث الثاني: نتائج مفهوم التفكر في القرآن الكريم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج المستخلصة.

تمهيد: تعريف التفكر في اللغة

التفكر: مأخوذ من: فَكَرَ، يفْكِر، مصدره: « فِكْرٌ » بالكسر، و « فَكْرٌ » بالفتح وهو أفصح.

قال الشاعر [١]:

أخٌ لا أخَا لي غَيْرُهُ غَيْرَ أنَّني كَرَاعِي الخَيْالِ يَسْتَطِيفُ بِلاَ فَكْرِ

ومن أفعاله: أَفْكَرَ، وفكَّر، مزيد بحرف.

وجمعُ الفِكْرِ: أفكار. حكاه ابن دريد.

وذهب سيبويه إلى أنه لا يجمع.

وواحده: الفِكْرَة، والفكرى على فِعْلى، وهي قليلة.

وتطلق على الصورة الذهنية لأمر ما.

وتجمع أيضاً على فِكَر.

وفَكَّر في أمره: مبالغة في فَكَر، وهو أشيع في الاستعمال من فَكَرَ. أي: أكثر من الفكر، يفكِّرُ تفكيراً، ورجل فِكِّير، مثل فِسّيق، وفَيْكَر مثل صيقل: كثير التفكر، ومصدره: «التفكير»، وهو كثرة الفكر.[٢]

---

(١) البيت غير منسوب لأحد، وهو في تهذيب اللغة للأزهري ـ خال ـ، ولسان العرب لابن منظور، مادة: خيل. وهو في الصحاح للجوهري، وتاج العروس، بكسر فاء «فكر».

(٢) انظر: العين للخليل بن أحمد (٥/ ٣٥٨)، جمهرة اللغة لابن دريد (٢/ ٤٠٠)، تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ١١٦)، الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨٣)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٤٤٧)، لسان العرب لابن منظور (٤/ ١١٢٠)، القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/ ٥٨٨)، تاج العروس للزبيدي (٣/ ٤٧٥)، المعجم الوسيط (٦٩٨)، الرائد لجبران مسعود (١١٢٩).

وعليه فإن التَّفكر: مصدر الفعل تَفَكَّرَ، وهو فعل ثلاثـي مزيـد بحـرفين. أصله: فَكَرَ. على وزن: فَعَلَ، فزيدت الكاف للتكثير، فأصبح فَكَّـر، ثـم زيـدت التاء للتكلف، فصار: تَفَكَّرَ.

والمعاني التي أتى لها في اللغة هي:

١. ما وقع بخلَد الإنسان وقلبه.

٢. أعمل خاطره في الشيء.

٣. التأمل.

٤. الحاجة. يقال: ليس لي في هذا الأمر فكر، أي: ليس لي فيه حاجة.

٥. تردد القَلْب في الشيء، يقال: تَفَكَّر: إذا ردَّد قلبه معتبراً.

٦. إعمال النظر.[1]

والنظر في هذه المعاني يبيّن ما يأتي:

أولاً: أنها تتشابه ولا تختلف.

ثانياً: أن الفرق بينها أن بعضها يطلق باعتبـار حـصول الحـدث وحـده في القلب دون تكلف ولا عمل من المتفكر، كالمعنى الأول، فإنه يذكر الفكر الـذي يحدث في خلد الإنسان ويقع فيـه ولا يـشير إلى أن للإنـسان جهـداً في وجـوده، ومثله المعنى الخامس.

وبعضها أُطلق باعتبار التكلف والجهد الذي يكون من الإنـسان لإيجـاده، كالمعنى الثاني: أعمل خاطره في الشيء، فإنه يدل على العمل مـن الإنـسان، بـأن يستدعي ما يفكر فيه إلى خاطره، وقلبه وهو مكان التفكر، ويُعمل خـاطره فيـه. ومثله الثالث، فإن التاء للتكلف، ومثله السادس.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

وأما المعنى الرابع فقد أُطلق على التفكر باعتبار السببية، فإن حاجة الإنسان إلى الشيء تدعوه إلى التفكر فيه، ومن هنا لا يفكر فيه ولا يقع على باله إذا كان لا يحتاجه بأي صورة من الصور.

ثالثاً: أن لفظ « التفكر » أبلغ المصادر التي أطلقت من هذه المادة.

وذلك أن الأفعال التي أخذت منها هذه المصادر ثلاثة.

الأول: وهو جذر المادة، وهو الثلاثي المجرد: « فَكَرَ» ومصدره « الفِكْرُ» بالكسر أو « الفَكْرُ» بالفتح. وهو مصدر على وزن « فِعْل» بالكسر و « فَعْل» بالفتح، وهو يدل على الحدث فقط فهو اسم للحدث، وليس لصيغته وشكله أي دلالة، ومن أجل ذلك يدل على حدث مجرد من الزمان، والمكان، والفاعل، والعدد، والجنس. فهو لا يدل على زمن التفكر، ولا مكانه، ولا فاعله، ولا عدد المتفكرين، ولا جنسهم أهم ذكور أم إناث.

الثاني: فَكَّرَ. وهو الثلاثي المزيد بحرف، على وزن « فَعَّلَ » بتضعيف العين، وهي الزيادة، والتضعيف للتكثير، فهو يفيد كثرة حصول الفكر. ومصدره: « تفكير» على وزن تفعيل. فهو يدل على أمرين، الحدث: الفكر، وتكثيرة.

الثالث: تَفَكَّر. على وزن « تَفَعَّلَ» بزيادة التاء وتضعيف العين، فهو الثلاثي المزيد بحرفين. وزيادة التاء هنا للتكلف. فهي تدل على تكلف الحدث، ومصدره: « تَفَعُّل »، وفيه ثلاثة معان. أحدها: الحدث المدلول عليه بأصل الكلمة. والثاني: تكثيره، المدلول عليه بتضعيف العين. والثالث: تكلُّفه، المدلول عليه بالتاء في أوله.

وقد جاءت معاني أخرى في المعجم الوسيط: وهي:

٧. النظر والروية. يقال: لي في الأمر فِكْرٌ: نظر وروية.

٨. إعمال العقل في الشيء وترتيب بعض ما يُعلم ليتوصل به إلى مجهول.

٩. التفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها.[١]

والمعنى الأول لا يختلف عن المعاني السابقة.

وأما المعنيان الأخيران فلا يتناسب ما فيهما من تحديد طريقة التفكر والإشارة إلى منهجه مع العموم في المعاني الموجودة في المعجم العربي، وأغلب الظن أن ما فيهما من ذلك مأخوذ من المعاني الاصطلاحية المتأخرة التي أشار إليها العلماء عند دراستهم للتفكر، وسيتبين ذلك عند الحديث عن معنى التفكر اصطلاحاً.

(١) المعجم الوسيط (٦٩٨).

المبحث الأول
مفهوم التفكر في القرآن الكريم من خلال ألفاظه الواردة

جاء معنى التفكر في عدة ألفاظ تدور في آيات القرآن الكريم، أهم هذه الألفاظ:

١ـ التفكر.

٢ـ النظر.

ومن خلال دراسة مدلولات هذه الألفاظ في الآيات التي وردت فيها يتبين مفهوم التفكر في القرآن.

المطلب الأول: التفكر

ورد لفظ التفكر في الآيات التالية:

١- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (البقرة: ٢١٩-٢٢٠)

٢- ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٦٦)

٣- ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران: ١٩١-١٩٤)

٤- ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام : ٥٠)

٥- ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٦).

٦- ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ (الأعراف : ١٨٤)

٧- ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس : ٢٤).

٨- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الرعد : ٣).

٩- ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ١١).

١٠- ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤)

١١- ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٦٨-٦٩)

١٢- ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾ (الروم : ٨)

١٣- ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم : ٢١)

١٤-﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ : ٤٦)

١٥-﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر : ٤٢)

١٦-﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية : ١٣)

١٧-﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر : ٢١)

١٨- ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ (المدثر : ١٨)

مكونات مفهوم التفكر في ضوء القرآن:

وعند التأمل في الظواهر اللفظية والأسلوبية والموضوعية في آيات التفكر يتبين لنا أن مفهوم التفكر في القرآن الكريم يتكون من عدة مكونات هي:

الأول: العمل العقلي العميق.

وهو الذي يعتمد على إعمال العقل بتكرار وتكلف، وغوص في حقيقة ما يتفكر فيه.

ومما يدل على ذلك ما يأتي:

١ـ أن التفكر قد استعمل في القرآن الكريم: بلفظ «تفكر»،في جميع موارده إلا في موضع واحد وهو ما ورد في سورة المدثر. ولفظ «تفكر» فعل المصدر «التفكر »، وقد سبق في بيان المعنى اللغوي أنه أبلغ المصادر التي أطلقت في هذه المادة ؛ لأنه يحتوي على ثلاثة معان لا توجد مجموعة إلا فيه: الحدث وتكثيرة وتكلُّفه.

وبهذا يعلم أن التفكر ليس مجرد فكر بل تكلف الفكرة، وهو معالجة الفكر ومعاودة التدبر في دلالة الأدلة على الحقائق.[(١)]

٢ـ أن الصيغة التي ورد بها التفكر في القرآن الكريم هي الفعل المضارع، فقد ورد بذلك في كل موارده إلا في موضع واحد هو ما ورد في سورة المدثر.

ومن المعلوم أن الفعل المضارع يفيد التجدد والتكرار والاستمرار.[(٢)]

ومعلوم أن ممارسة العمل مع التكرار والاستمرار تؤدي إلى العمق في معرفته والخبرة.

وفي التعبير عن التفكر في القرآن بهذه الصيغة ما يؤكد أن القرآن يجعل من العمق المبني على إعادة الفكرة في الأمر، وعرضه أمام العقل مرات ومرات صفة مميزة في مفهومه للتفكر.

٣ـ أن القرآن الكريم يُجري التفكر على وصف « قوم » كلّما ورد التفكر صفة لموصوفين. فقد ورد الأسلوب القرآني: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سبع مرات. في سور يونس، والرعد، والنحل، والروم، والزمر، والجاثية. وفي ذلك إشارة ـ كما يرى ابن عاشور ـ إلى أن التفكر المتكرر المتجدد صفة راسخة فيهم، ولذلك جُعل من مقومات قوميتهم، أي جبلتهم.[(٣)]

وهذا يؤكد أيضاً صفة العمق في مفهوم التفكر في ضوء القرآن.

إنه العمق الذي يكون نتيجة الخبرة بهذا العمل العقلي، بعد أن أصبح صفة راسخة للنفس.

٤ـ أن جلّ إن لم يكن كل الموضوعات التي ورد الحض على التفكر فيها، أو جيء به تعقيباً عليها هي من الموضوعات العميقة التي تحتاج إلى الغوص في

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/ ٢٦).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٢/ ٢٩٦، ٧/ ١٣٤).

(٣) انظر: المرجع نفسه (١٣/ ٨٥).

أعماقها بعين الفكر ونظر العقل، وتحتوي على أسرار إنما تظهر بعد معالجة الفكر فيها ومعاودته.

وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: جاء التفكر علة لبيان الله تعالى لأمر الخمر والميسر في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ ﴾ (البقرة: ٢١٩-٢٢٠).

وهذا البيان بيان شامل يتضمن مراعاة جوانب متعددة فيما يتعلق بالخمر والميسر، أو ما يتعلق بالنفقة.

فأما فيما يتعلق بالخمر والميسر فقد ذكر الله تعالى أن فيهما إثماً كبيراً ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما، وهذا يجعل السائلين عن الخمر وحكم الإسلام فيها يتفكرون في منافعها القليلة، و آثامها الكبيرة، وآثار تلك الآثام، وهي مضار الخمر.

وذلك يحتاج منهم إلى تأمل عميق وتفكير طويل - خاصة بالنظر إلى أنها كانت محببة إلى نفوس بعضهم - ليترسخ في نفوسهم تلك المضار الكثيرة، فيعدوا أنفسهم لتقلي الحكم النهائي بتحريمها.

وأما فيما يتعلق بالنفقة فقد تضمن البيان أن المطلوب في النفقة هو ما فضل عن الحاجة وذلك في قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ وهذا الجواب أيضاً مما يدعو إلى التفكر من وجوه:

أحدها: أن إنفاق الفاضل والاحتفاظ بما يحتاجه الإنسان من المال يدل على وسطية الإسلام، وموازنته بين الدنيا والآخرة، واعتباره لحاجات الإنسان الأساسية، وحرصه على إسعاده في الدنيا وتلك حكمة جليلة لا تدرك إلا بالتفكر العميق في هذا الحكم.

ثانياً: أن الفاضل عند بعض المسلمين قد يكون كثيراً، والنفس خلقت ميّالة إلى حب المال. ويندر أن تطاوع نفس صاحبها لينفق كل ما فضل عن حاجته من ماله، ولا يحصل ذلك إلا بتفكر وتأمل عميق في فوائد النفقة، وفضلها الأخروي، بل النفقة كلها من الأمور الشديدة على النفس مهما بلغ قلة ما تنفقه، وهي تحتاج حاجة ماسة إلى التأمل في فضائلها وعواقبها وأنها تبقى للعبد بعد موته مدخرة عند ربه، وأن الدنيا دار زوال، والغنى والفقر بيد الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة :٢٦٨).

وقال رسول الله ﷺ « ما يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئاً مِنَ الصَّدَقَةِ حتى يَفُكَّ عنها لَحْيَيْ سَبْعِينَ شَيْطَاناً».[١]

قال المناوي: (لأن الصدقة على وجهها إنما يقصد بها ابتغاء مرضاة الله، والشياطين بصدد منع الإنسان من نيل هذه الدرجة العظمى، فلا يزالون يدأبون في صده عن ذلك. والنفس لهم على الإنسان ظهيرة ؛ لأن المال شقيق الروح، فإذا بذله في سبيل الله فإنما يكون برغمهم جميعا، ولهذا كان ذلك أقوى دليلا على استقامته وصدق نيته ونصوح طويته.)[٢]

قال سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ): «فهذا البيان لاستجاشة التفكر والتدبر في أمر الدنيا والآخرة. فالتفكر في الدنيا وحدها لا يعطي العقل البشري

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم « ٢٣٠١٢ »، والطبراني في الأوسط (١/ ٣٠٨)، برقم « ١٠٣٤ »، والبيهقي في سننه (٤/ ١٨٧) برقم « ٧٦٠٨ »، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٠٥) برقم « ٢٤٥٧ »، والحاكم في المستدرك(١/ ٥٧٧) برقم « ١٥٢١ »، والروياني في مسنده برقم «١٨»، والبيهقي في الشعب برقم «٣٤٧٤»، كلهم من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن بن بريدة عن أبيه قال في مجمع الزوائد «ورجاله ثقات» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٦٤)، وفي صحيح الجامع برقم «٥٨١٤».

(٢) فيض القدير (٥/ ٥٠٤).

ولا القلب الإنساني صورة كاملة عن حقيقة الوجود الإنساني. وحقيقة الحياة وتكاليفها وارتباطاتها. ولا ينشىء تصورا صحيحا للأوضاع والقيم والموازين. فالدنيا شطر الحياة الأدنى والأقصر. وبناء الشعور والسلوك على حساب الشطر القصير لا ينتهي أبدا إلى تصور صحيح ولا إلى سلوك صحيح.. ومسألة الإنفاق بالذات في حاجة إلى حساب الدنيا والآخرة. فما ينقص من مال المرء بالإنفاق يرد عليها طهارة لقلبه، وزكاة لمشاعره. كما يرد عليه صلاحا للمجتمع الذي يعيش فيه ووئاما وسلاما. ولكن هذا كله قد لا يكون ملحوظا لكل فرد. وحينئذ يكون الشعور بالآخرة وما فيها من جزاء، وما فيها من قيم وموازين، مرجحا لكفة الإنفاق، تطمئن إليه النفس، وتسكن له وتستريح. ويعتدل الميزان في يدها فلا يرجح بقيمة زائفة ذات لألاء وبريق. »[1]

والتفكر العميق المبني على منهج سليم الذي يؤدي إلى نتيجته الحتمية في العقل والنفس، هو الكفيل بتحقيق هذا الخلق الرفيع في النفس الإنسانية.

فتبين حينئذ أن التفكر في هذه الآية يتعلق بأسرار الأحكام الشرعية فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وأسرار البيان القرآني لهذه الأحكام.

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): (واللام في «لكم » للتعليل والأجل وهو امتنان وتشريف بهذه الفضيلة لإشعاره بأن البيان على هذا الأسلوب مما اختصت به هاته الأمة ليتلقوا التكاليف على بصيرة بمنزلة الموعظة التي تلقي إلى كامل العقل موضحة بالعواقب، لأن الله أراد لهاته الأمة أن يكون علماؤها مشرعين.

وبيّن فائدة هذا البيان على هذا الأسلوب بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي ليحصل للأمة تفكر وعلم في أمور الدنيا وأمور الآخرة،

(١) في ظلال القرآن (١/ ٢٣١).

لأن التفكر مظروف في الدنيا والآخرة، فتقدير المضاف لازم بقرينة قوله: «والآخرة» إذ لا معنى لوقوع التفكر يوم القيامة، فلو اقتصر على بيان الحظر والوجوب والثواب والعقاب لكان بيانا للتفكر في أمور الآخرة خاصة، ولو اقتصر على بيان المنافع والمضار بأن قيل: قل فيهما نفع وضر لكان بيانا للتفكر في أمور الدنيا خاصة، ولكن ذكر المصالح والمفاسد والثواب والعقاب تذكير بمصلحتي الدارين، وفي هذا تنويه بشأن إصلاح أمور الأمة في الدنيا).[1]

ثانياً: جاء التفكر في خمسة مواضع من مواضعه متعلقاً بالأمثال وهي:

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٦٦)

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: ٥٠)

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس: ٢٤)

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١)

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢/ ٣٥٣)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٩٩).

والأمثال من العلم الدقيق الذي أخبر الله تعالى بأنه لا يعقله إلا العلماء فقال تعالى:
﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت :٤٣)

قال الرازي (ت: ٦٠٦ هـ): (وفيه معنى حكمي وهو أن العلم الحدسي يعلمه العاقل، والعلم الفكري الدقيق يعقله العالم ؛ وذلك لأن العاقل إذا عرض عليه أمر ظاهر أدركه كما هو بكنهه ؛ لكون المدرك ظاهرا وكون المدرك عاقلا، ولا يحتاج إلى كونه عالماً بأشياء قبله.

وأما الدقيق فيحتاج إلى علم سابق فلا بد من عالم، ثم إنه قد يكون دقيقا في غاية الدقة فيدركه، ولا يدركه بتمامه ويعقله إذا كان عالما.

إذا علم هذا فقوله : ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ يعني هو ضرب للناس أمثالا وحقيقتها وما فيها من الفوائد بأسرها فلا يدركها إلا العلماء.) [١]

وقال الشيخ السعدي: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ بفهمها وتدبرها وتطبيقها على ما ضربت له وعقلها في القلب ﴿إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ أي إلا أهل العلم الحقيقي الذين وصل العلم إلى قلوبهم وهذا مدح للأمثال التي يضربها وحث على تدبرها وتعقلها ومدح لمن يعقلها وأنه عنوان على أنه من أهل العلم.) [٢]

ويستفاد من إتباع خمس آيات من آيات الأمثال في القرآن الكريم بالحض على التفكر، أن النظرة العميقة والتأمل الطويل وتكرار النظر من المباني الرئيسة لمفهوم التفكر في القرآن، وعليه فإن التفكر هو الذي يكشف حقيقة الأمثال، ويقوم بتحليلها، وذلك التفكر يملكه أكثر من غيرهم العالمون ؛ لأن التفكر لا يمكن أن يحدث إلا من خلال معلومات سابقة، وهي ما يمتلكه العالمون دون غيرهم.

---

(١) التفسير الكبير للرازي(٢٥/ ٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي(٦٣١).

ثالثا: جاء الحث على التفكر في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ (آل عمران: ١٩١-١٩٤)، وقريب منه في قوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾ (الروم: ٨)

والسموات والأرض فيها من عجائب المخلوقات وأنواعها، وعجائب الخلق ما لا يخطر على قلب بشر، مما لا يمكن الوصول إليه إلا بتأمل عميق وتكرار للنظر والتفكر، ومن هنا نعرف مناسبة ذكر التفكر عندما تعلق الأمر بالنظر في خلقها.

قال الشيخ السعدي: (يخبر تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠) وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها والتبصر بآياتها وتدبر خلقها وأبهم قوله: ﴿آيات﴾، ولم يقل على المطلب الفلاني إشارة لكثرتها وعمومها ؛وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين ويقنع المتفكرين ويجذب أفئدة الصادقين وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية.) [(١)]

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: (وهذه الآيات تظهر لكل أحد على قدر علمه وفهمه وجودة فكره.) [(٢)]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي(١٦١).

(٢) تفسير المنار (٤/ ٢٩٨).

رابعاً: جاء الحث على التفكر في أسرار التنـزيل في قوله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤)

فجعل من حكم إنزال القرآن أن يتفكر فيه المكلفون.[١]

وغني عن القول أن القرآن الكريم جمع في نصوصه البليغة عجائب العلوم، وأسرار الشرائع، وبدائع النظم، وكل ذلك في نص موجز، ونظم محكم، لا يخرج كنوزه إلا للمتفكرين الذين يكررون الفكرة فيه، ويعيدون النظر مرة بعد أخرى، ويتعاملون معه بالتدبر الطويل.

ومن هنا نفهم الحث على التفكر فيه ؛ إذ أن التفكر ـ بما يتضمنه من عمق النظر وتكرار الفكر والتأمل ـ هو الكفيل بإخراج شيء من كنوزه المخبوءة.

وهذا يؤكد أن العمق مما يتضمنه مفهوم التفكر في القرآن الكريم.

خامساً: جاء الحث على التفكر في أسرار الزوجية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم : ٢١).

فإن المشار إليه بقوله: ﴿إن في ذلك﴾ هو خلق الأزواج، وجعلهن سبباً للسكن وهو الطمأنينة والسكينة، وإلقاء المحبة والرحمة العظيمتين بين الزوجين بدون سابق معرفة ولا رحم أحياناً ولا سبب سابق.

وهذه آيات وليست آية واحدة، وهي آيات عظيمة ذات دلالة ظاهرة على قدرة الله وعظمته، وهي آيات عجيبة تحتاج إلى التفكر، فإن كثيراً منها ليس لها سبب عقلي ظاهر، فهذا السكن النفسي الذي يجده الرجل في زوجه، وهذه الطمأنينة معها، وتلك المودة بينهما، وتلك الرحمة التي تنشأ دفعة واحدة وربما في ليلة واحدة، فتصل إلى كمال لا يتهيأ بين الرجل وغيره ـ من أقرب الناس إليه ـ في

---

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي(٣/ ٣٣٤).

سنين عدة، بلا سبب ظاهر، ولا معرفة سابقة، ولا رحم بينهما، كل ذلك من الآيات العجيبة التي تستدعي تفكراً، ونظراً عميقاً في نعمة الله تعالى، وقدرته العظيمة.

وفي النص إشارات كثيرة تدل على عظمة تلك الآيات، فالتعبير باسم الإشارة البعيد مع قرب المشار إليه، فيه دلالة على عظمة المشار إليه وبعده في ذلك السياق، وتنكير آيات للتعظيم، وجمعها للتكثير.[1]

ومن أجل ذلك كان المناسب لهذه الآية لما تحتويه من آيات عدة وأسرار في خلق الله تعالى وحكمه أن يربط تحصيلها بالتفكر، إشارة إلى عزتها على غير المتفكرين.

وهذه دلالة أخرى على أن العمق في النظر، والتكرار في تقليب الشيء في القلب سمة لمفهوم التفكر في القرآن الكريم.

سادساً: جاء الحض على التفكر في أسرار النحل وعسلها في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٦٨-٦٩)

فإن قوله في الآيات: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ إشارة إلى ما ذكرته الآية من أسرار النحل وعسلها، من إلهام الله لها تلك العلوم الدقيقة، من اتخاذها البيوت في أحسن البقاع من الجبال والشجر ومما يعرش الناس، وبنائها لها بنظام دقيق وتقسيمها لتلك البيوت أجزاءً متساوية بأشكال مسدسة الأضلاع بحيث

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٨٠)، الكشاف للزمخشري (٨٢٧)، التفسير الكبير للرازي (٢٥/ ٩٧-٩٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ١٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٠٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٧/ ٥٥-٥٦)، روح المعاني للآلوسي(٢١/ ٣١)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٦٣٩).

لا يتخللها فراغ، وتغشيتها لتلك البيوت بمادة الشمع، وأكلها العسل من كل الثمرات مما يترتب عليه تكون العسل في بطونها، وأن الله أودع في طبع النحل عند الرعي التنقل من زهرة إلى زهرة ومن روضة إلى روضة، وإذا لم تجد زهرة أبعدت الانتجاع ثم إذا شبعت قصدت المبادرة بالطيران عقب الشبع لترجع إلى بيوتها فتقذف من بطونها العسل الذي يفضل عن قوتها، فذلك السلوك مفرع على طبيعة أكلها، وذلك الشراب الذي يخرج من بطونها قد اختلفت ألوانه وتعددت منافعه، وجعل فيه شفاءً عظيماً للناس. وتلك كلها أسرار دقيقة تدل على قدرة إلهية باهرة، وتتضمن علوماً دقيقة، وعجائب من قدرة الله تعالى لا يتوصل إليها إلى إلا بتأمل عميق وتكرار للنظر، ولذلك جعل ربط تحصيل العبرة منها بالتفكر. فمن تفكر وصل لتلك الأسرار وما فيها من عبر، وذلك دليل آخر على معنى العمق في مفهوم التفكر في القرآن.[(١)]

ولذلك قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): (واختير وصف التفكر هنا ؛ لأن الاعتبار بتفصيل ما أجملته الآية في نظام النحل محتاج إلى إعمال فكر دقيق ونظر عميق.) [(٢)]

وقال الآلوسي (ت: ١٢٧٠ هـ): (إن في ذلك المذكور من آثار قدرة الله تعالى لآية عظيمة لقوم يتفكرون، فإن من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة التي مرت الإشارة إليها، وخروج هذا الشراب الحلو المختلف الألوان وتضمنه الشفاء، جزم قطعا أن لها ربا حكيما قادرا ألهمها ما ألهم وأودع فيها ما أودع، ولما كان شأنها في ذلك عجيبا يحتاج إلى مزيد تأمل ختم سبحانه الآية بالتفكر.) [(٣)]

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٤/ ٢٠٦-٢١٠).

(٢) المصدر نفسه (١٤/ ٢١٠).

(٣) روح المعاني (١٤/ ١٨٧)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٠/ ١٤٠).

سابعاً: جاء الحض على التفكر في إنزال الماء من السماء واحداً وإنبات الزروع والثمار على اختلاف أشكالها وألوانها منه فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ١٠، ١١)

وذلك أن الإشارة في قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إلى إنبات أصناف مختلفة من ماء واحد. وهي آية عظيمة.[١]

ويتبع ذلك الإشارة إلى إنزال الماء من السماء، وإنبات الزروع والزيتون والنخيل والأعناب والثمرات به. وهما آيتا إنزال المطر وإنبات النبات.[٢]

وهما آيتان عظيمتان تتضمنان كثيراً من أسرار الإعجاز الإلهي في الخلق.

قال ابن عطية (ت: ٥٤٦ هـ): (ثم أحال القول على الفكرة في تصاريف النبات والأشجار وهي موضع عبر في ألوانها واطراد خلقها وتناسب ألطافها فسبحان الخلاق العليم.)[٣]

وقال الآلوسي (ت: ١٢٧٠ هـ): (وحيث كان الاستدلال بما ذكر لاشتماله على أمر خفي محتاج إلى التفكر والتدبر لمن له نظر سديد ختم الآية بالتفكر).[٤]

ومن أجل تضمن هاتين الآيتين أسراراً عظيمة تدل على قدرة إلهية قاهرة وحكم باهرة تكررت في كتاب الله تعالى كثيراً.[٥]

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(١٤/ ١١٥).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود(٥/ ١٠١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٥٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٣٨٢)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٥٦١).

(٤) روح المعاني للآلوسي(١٤/ ١٠٨).

(٥) انظر: أضواء البيان للشنقيطي(٣/ ٢٦٩).

ثامناً: جاء التعقيب بالتفكر في قوله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد: ١ـ٣).

والإشارة بقوله: ﴿**إن ذلك**﴾ إلى ما ذكر من مد الأرض وإيتادها بالرواسي وإجراء الأنهار، وخلق الثمار، وإغشاء الليل النهار.[(١)]

وكل تلك الآيات تثير التأمل والتفكر، ويكشف التفكر بعض أسرارها التي أراد الله تعالى كشفها للإنسان. ومن أجل ذلك عقب على ذكرها بالتفكر؛ لأنه الكفيل باستخراج تلك الأسرار والاستدلال بها على ما يجب لله من العبادة.

قال أبو السعود (ت: ٩٥٠ هـ): (فان التفكر فيها يؤدى إلى الحكم بأن تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والأسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم، يفعل ما يشاء، ويختار ما يريد، لا معقب لحكمه، وهو الحميد المجيد.)[(٢)]

وقال سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ): (مشهد الليل والنهار متعاقبين، هذا يغشى ذاك، في انتظام عجيب هو ذاته مثار تأمل في مشاهد الطبيعة، فقدوم ليل وإدبار نهار أو إشراق فجر وانقشاع ليل حادث تهون الألفة من وقعه في الحس، ولكنه في ذاته عجب من العجب، لمن ينفض عنه موات الألفة وخمودها، ويتلقاه بحس الشاعر المتجدد، الذي لم يجمده التكرار. والنظام الدقيق الذي لا تتخلف

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥/ ٤)،فتح القدير للشوكاني (٣/ ٦٥)، روح المعاني للآلوسي(١٣/ ١٠١).

(٢) إرشاد العقل السليم (٥/ ٤) وانظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٦٥)، روح المعاني للآلوسي(١٣/ ١٠١)، تفسير السعدي (٤١٢).

معه دورة الفلك هو بذاته كذلك مثال تأمل في ناموس هذا الكون وتفكير في القدرة المبدعة التي تدبره وترعاه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [(١)].

وكل ذلك دليل على أن مفهوم التفكر يتضمن العمق في النظر والتأمل ولهذا عقب به على آيات تحوي أسراراً عظيمة من أسرار الخلق.

وكذلك كان ؛ فإن تلك الآيات التي كشفت بعض أسرارها فيما بعد إنما كان ذلك بالتفكر العميق فيها والنظر المتواصل في ظواهرها ثم الاستنتاج الدقيق.

تاسعاً: جاء الحض على التفكر في النفس الإنسانية في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (الروم : ٨).

والمراد بالنفس الذات، ونفس الإنسان ذاته، والإنسان من أعظم المخلوقات وأعجبها، وفي خلقه أسرار عظيمة، سواء في طريقة خلقه ومراحله، أو في تكوينه من جسد وروح ونفس، أو في صفات كل منها وخصائصها وأعمالها.

ولهذا يقول الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): (أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها.) [(٢)]

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٤٤).

(٢) الكشاف للزمخشري(٨٢٦)، وانظر: التفسير الكبير للرازي(٢٥/ ٨٦).

عاشراً: جاء الحض على التفكر في آيتي الموت والنوم في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (الزمر : ٤٢)

فإن اسم الإشارة ﴿**ذلك**﴾ إشارة إلى ما تقدم من التوفي والإمساك والإرسال.

وهما آيتان عظيمتان وحالتان عجيبتان، آية الموت وآية النوم. في كل آية منهما أسرار باهرة تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وشمول رحمته.

ولما تتميز به كل آية من تلك الأسرار الدالة على إعجاز خلق الله تعالى قيد كونها آيات بأن ذلك يكون ﴿**لقوم يتفكرون**﴾ أي في كيفية تعلقها بالأبدان، وتوفيها عنها بالكلية بالموت، وإمساكها باقية لا تفنى بفناء تلك الأبدان، وما يعتريها من السعادة والشقاوة، والحكمة في توفيها عن ظواهرها وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفي آجالها.[(١)]

ومما يشير إلى عظم هاتين الآيتين التنكير في ﴿**آيات**﴾، فإنه يدل على التعظيم، والجمع فإنه يدل على الكثرة.[(٢)]

الحادي عشر: جاء التعقيب بالتفكر بعد الحديث عن تسخير المسخرات في قوله تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (الجاثية : ١٣)

ونعمة التسخير من النعم العظيمة التي تحوي كثيراً من العبر والأسرار، وتحتاج معرفتها إلى تأمل طويل عميق ولهذا جاء عند التعقيب عليها بالعمل المبني على طول النظر والتأمل وهو التفكر.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٥/ ٦٩)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٦٦)، روح المعاني للآلوسي(٢٤/ ٩).

(٢) انظر: روح المعاني للآلوسي(٢٤/ ٩)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/ ٢٦).

وبيان ذلك أن معنى التسخير: خلق الله للأشياء على وجه ينتفع بها العباد[(١)] .

وذلك أن الله تعالى خلق الأشياء في تكوينها وخصائصها ونواميسها التي تحكمها بحيث تتحقق منها فوائد لهذا الإنسان، وجعلها قائمة بما خلقها الله لأجله، فالنار للإحراق، والماء للري، وهكذا.

وبعض المسخرات يتم تسخيرها بتسخير كثير من المخلوقات وفق سنن كونية عظيمة، فتسخير الفلك لتجري في البحر بأمره، مترتب على خلق الماء بهذه الملاسة لتتمكن السفن من أن تجري عليه، وتسخير الرياح التي تجري وفق المراد، وتسخير مادة خلق السفن من الأخشاب وغيرها بحيث تبقى طافية على سطح الماء، وغير ذلك من السنن التي تتحكم في جري السفن في البحار بأمر الله.[(٢)]

وحينئذ يعلم أن التسخير يحتوي على أسرار لابد من كشفها والوصول إليها، فمن لم يعرف أن من خصائص الخشب أنه يطفو على سطح الماء لا يمكن أن يهتدي لصناعة سفينة من الخشب ليستفيد من تسخيرها مثلاً، وهذه الأسرار تحتاج إلى تأمل ونظر طويل للوصول إليها، وتلك الأسرار بعضها أظهر من بعض، وكلما خفيت أسرار تسخير المخلوقات لبعدها عن الإنسان احتاجت إلى نظر طويل وتأمل عميق للتوصل إلى أسرار ونُظُم وسنن تسخيرها، وكلما كثرت احتاجت إلى أكثر من ذلك.

فما الظن حينئذ بكشف تسخير السموات والأرض بما في السموات من قمر وشمس وسحاب ورياح وهواء وكواكب وملائكة وما في الأرض من بهائم ومياه وأودية وجبال ومخلوقات لا يحصيها إلا الله تعالى، في حاجة كل ذلك إلى تأمل وطول نظر للوصول إلى أسرار تسخيرها.

---

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٥/ ١٣٧)، و معالم التنزيل للبغوي(٤/ ١٥٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/ ٢٢٦).

ومن هنا ندرك سر الإشارة بالبعيد في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي يدل على عظم المشار إليه ، وسر التأكيد بـ«إن واللام» وسر تنكير ﴿آيات﴾ الدال على الكثرة والتعظيم ، فكل ذلك يتناسق مع العموم المدلول عليه بقوله : ﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ، فإن فيهما من المسخرات ، ما فيه من الآيات العظيمة التي لا يحصيها إلا الله تعالى [١].

ومن هنا أيضاً ندرك سر التعقيب بالتفكر في قوله ﴿لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ، فإن التفكر بما يتضمنه من عمق في النظر والتحليل والتأمل هو الكفيل بكشف ما في تلك من الآيات العظيمة الكثيرة ، التي يؤدي كشفها إلى الاستفادة منها وإدراك شيء من إنعام الله تعالى على هذا المخلوق الضعيف [٢].

الركن الثاني : المعلومات التي هي مادة التفكر .

إن التفكر طريق وأسلوب لمعرفة العلم واكتشاف الحق، والعلم باستعمال التفكر لا يحصل إلا بأن يكون عند الناظر والمتفكر مادة جاهزة، أو دليل ينظر فيه، فيفيده العلم بالمدلول عليه. وهذا الدليل هو المعلومات.

والمعلومات مأخوذة من العلم وهو معرفة الشيء على حقيقته.

ولهذا فإن المتفكر لابد أن يكون عنده علم ثابت في قلبه بمعلومات، يعرفها على حقائقها، ولا يحتاج إلى نظر وتفكر فيها ليعلمها.

ومن ثم يتفكر في تلك المعلومات التي هي مادة التفكر ويربط بينها ليستخرج منها معلومات جديدة هي نتاج التفكر.

---

(١) انظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٨/ ٧٠) .

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود(٨/ ٧٠) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥-٦) ، روح المعاني للآلوسي(٢٥/ ١٤٥) ، التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٥/ ٣٣٧-٣٣٨) .

ووجه دلالة القرآن على هذا الركن ارتباط التفكر في جميع آياته بالدليل والمعلومة موضع التفكر، فلا توجد آية من آيات التفكر إلا وهي تذكر بطريقة أو بأخرى مادة التفكر.

وذلك يدل على أن التفكر بلا مادة ومعلومات دقيقة صحيحة تكون هي مجال التفكر أمر مستحيل، كما تدل على أن التفكر في شبهات أو نظريات لم تصل لدرجة اليقين لا يعد تفكراً بلسان القرآن الحكيم.

ولمادة التفكر أحوال في مواردها، فقد يصرح النص القرآني بمادة التفكر ودليله.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾(البقرة: ٢١٩ – ٢٢٠)، وقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (آل عمران: ١٩١).

وقد يتركها النص القرآني دون ذكر، ويشير إلى تقديرها، فيشير المفسرون إلى تلك التقادير:

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤)، فقد حذف متعلق التفكر، والسياق يشير هنا إلى أن مما يتفكر فيه الذكر المنزل، وأن ذلك من علل إنزاله.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١) ؛ فقد حذف ـ أيضاً ـ متعلق التفكر، والسياق يشير إلى أن من أولى ما يتفكر فيه أسرار الزوجية، وخاصة المودة والرحمة الناشئتين فجأة بين الزوجين على غير معرفة سابقة.

ويلاحظ على مادة التفكر في ضوء القرآن أمور منها:

١ـ التنوع.

فقد تكون مادة التفكر ذوات محسوسة، يمكن رؤيتها بالعين، ولمسها باليد كالسموات والأرض، والنبات، والعسل، والمطر والرواسي، والأنهار ونحوها.

وقد تكون سننا ربانية سنها الله في الخلق كإحياء الأرض بالماء، وتنويع النبات، والمفاضلة بين أصنافه مع سقيه بماء واحد، وخلق المودة والرحمة بين الزوجين، وجعل الشفاء في العسل.

وقد تكون من الأمور العقلية التي تدرك بالعقل ولا ترى بالعين، كالقصص والأمثال ومعاني القرآن.

٢ـ الشمول:

فقد جاءت مادة التفكر في القرآن شاملة فلم يخرج عن التفكر إلا ذات الله تعالى وحقائق أسمائه وصفاته وغيبياته ؛ إذ جاء التفكر في الدنيا والآخرة، والسموات والأرض وخلقهما، والنفس الإنسانية، وغيرها. بل إن حذف متعلق التفكر في كثير من آيات التفكر يدل على الحض عليه في كل ما من شأن العقل الإنساني أن يفهم منه حكمة الله تعالى وكماله في ذاته وأسمائه وصفاته.

ولم يأت التفكر في ما ليس للعقل فيه مجال ولا قدرة له لإدراكه، كذات الله تعالى، بل جاءت النصوص دالة على عجز الإنسان عن الإحاطة به تعالى، وإدراكه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (طه: ١١٠).[١]

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠٣)[٢]

وفي الحديث عن النبي ﷺ: « تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللهِ، وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي اللهِ » [٣].

---

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٣٥٦)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيء (٣/ ٢٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ١٣٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٢٥٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٤٢، ٧/ ٢٢١٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٣٦)، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة (٣/ ٥٢٥)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/ ١٥٢)، وابن أبي شيبة في العرش (١/ ١٩٥)، وأبو الشيخ في العظمة (١/ ٢١٢، ٢٣٨،٢٤١،)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٧) من طرق متعددة من حديث ابن عمر، وابن عباس مرفوعاً بألفاظ متقاربة كلها ضعيفة. قواها السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٢٦١) لاجتماعها، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٩٥)، برقم (١٧٨٨)، وصحيح الجامع برقم (٢٩٧٥)، بمجموعها.

الركن الثالث: الهدف والنتيجة.

من مكونات عملية التفكر كما يظهر من مفهوم التفكر في القرآن الكريم الهدف والنتيجة.

والمراد أن جميع موارد لفظ «التفكر» في القرآن الكريم تشير إلى أن التفكر ليس غاية، وإنما هو وسيلة للوصول إلى نتيجة معينة، وأن ابتغاء الوصول إلى نتيجة هو الهدف من الدخول في عملية التفكر.

ويدل على ذلك:

أولاً: أن لفظ «التفكر» في جميع موارده جاء الحض عليه والإشارة إليه باعتباره أسلوباً عالياً من أساليب الاستدلال، بسلوكه وتطبيقه يمكن للمنكرين أو المتشككين في ثبوت عقيدة أومفهوم أن يتبينوا حقيقة الأمر، وأن ما يقوله الله ﷻ حق لا مرية فيه.

ثانياً: أن النتيجة حاضرة في جميع الأساليب التي ورد بها لفظ التفكر، فإما أن يحض الله تعالى عليه لإقامة الحجة على المخاطبين، فيأمرهم أن يتفكروا ليعلموا أن ما يريد تقريره حق لا مرية فيه. مع ذكر النتيجة التي سيتوصلون إليها مثل قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ (الأعراف: ١٨٤)، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الروم ٨]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ: ٤٦)، أو بدون ذكر للنتيجة مثل قوله: ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: ٥٠).

وإما أن تذكر النتيجة التي أدى إليها عندما يأتي ذكر التفكر كصفة حميدة كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩١)

فإن قوله في الآية﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾ ...الخ هي نتيجة التفكر، أي:(فإذا تفكروا بها عرفوا أن الله لم يخلقها عبثا فيقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك بالحق وللحق بل خلقتها مشتملة على الحق).[1]

وإما أن يشار إلى تلك النتيجة وإنما متحققة وإن لم يصرح بها في مثل أسلوب:﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الرعد : ٣، الروم : ٢١، الزمر : ٤٢، الجاثية : ١٣) ، فإن تخصيص الذين يتفكرون بأنها لهم آيات يدل على أنهم الذين يتوصلون منها إلى ما تشير إليه من نتائج. ومثله قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ١١، ٦٩) بالإفراد.

وإما أن يجعل التفكر علة لبيان الآيات أو لتفصيلها في سياق الإشارة إلى حكمة التشريع كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ ﴾ (البقرة : ٢١٩-٢٢٠)، أو في سياق الأمثال كما في قوله تعالى:﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة : ٢٦٦)[2] أو أن يجعل علة لتنزيل القرآن، وهو الذي شرع التدبر فيه والتفكر في آياته لاستخراج العبر واستنباط الأحكام، كما في قوله تعالى:﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(النحل : ٤٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي(١٦١).

(٢) ومثله الآية (٢٤) من سورة يونس، والآية (٢١) من سورة الحشر.

الركن الرابع: العبرة.

من أركان مفهوم التفكر في ضوء القرآن الكريم. تحقق العبرة التي يتجاوز بموجبها المتفكر من الدنيا إلى الآخرة، ومن المخلوق الذي يفكر فيه إلى ما يدل عليه من كمال لخالقه، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن البعد عن الله إلى الإيمان به.

يدل على ذلك:

أولاً: أن الله تعالى لما وصف أولي الألباب بالتفكر، كان تفكرهم محققاً للاعتبار من المعرفة بحكمة الخلق وخشية الله والخوف من عقابه والابتهال إليه أن ينجيهم من النار، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ الآيات (آل عمران : ١٩١-١٩٥)

ثانياً: أن الله تعالى في جميع الآيات التي دعا فيها عباده إلى التفكر كان من أجل أن يتخذوا من ذلك التفكر طريقاً للعلم والمعرفة والاعتبار والطاعة والقيام لله تعالى بما يجب له وما يدل عليه ذلك التفكر. وهذا ظاهر في كل آيات التفكر التي سبق ذكرها.

ثالثاً: أن الله تعالى جعل الآيات والنذر عديمة الفائدة والإغناء إذا كانت لا تؤدي من خلال النظر فيها إلى الإيمان قال تعالى: ﴿ **قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (يونس : ١٠١).

المطلب الثاني: النظر

تعريف النظر لغة

يقول الخليل (ت: ١٧٠هـ): (تقول: نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب.) [١]

ويقول الجوهري (ت: ٣٩٣ هـ): (النَظَر: تأمّل الشيء بالعين، وكذلك النَظَرَانُ بالتحريك. وقد نَظَرتُ إلى الشيء.) [٢]

ويقول ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): (النون والظاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعه إلى معنىً واحد وهو تأمَّلُ الشيءِ ومعاينته، ثم يُستعار ويُتَّسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه، إذا عاينْتَه. وحيٌّ حِلاَلٌ ونَظَرٌ، أي: متجاورون ينْظُرُ بعضهم إلى بعض.) [٣]

ويقول ابن منظور (ت: ٧١١ هـ): (النظر: حس العين. وتقول: نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب... والنظر: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك... والنظر: يقع على الأجسام والمعاني فما كان بالأبصار فهو للأجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني.) [٤]

ويقول الفيروز آبادي (ت: ٨١٧ هـ): (نظره كنصره وسمعه و إليه نظراً ومنظراً ونظراناً ومنظرة وتنظاراً تأمله بعينه... والنظر ـ محركة ـ الفكر في الشيء تقدره وتقيسه.) [٥]

---

(١) العين (٨/ ١٥٤).

(٢) الصحاح (٢/ ٨٣٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٤٤).

(٤) لسان العرب (٦/ ٦٦٤).

(٥) القاموس المحيط(٦٢٣).

وفي المعجم الوسيط: ((نَظَرَ) إلى الشيء ـ نَظَراً، ونَظْراً: أبصره وتأمله بعينه. و ـ فيه: تدبّر وفكّر.) [(١)]

وكل تلك التعريفات للنظر تدل على أن المراد به ما يشمل المشاهدة بالعين مع التأمل ـ والتأمل يكون بالقلب ـ.

وقد يقع على أحدهما، ومن ذلك إطلاقه على الفكر في الشيء. وإن لم يصاحبه مشاهدة بالعين.

فإذا عدي بـ«إلى» كان معناه المشاهدة والتأمل. ومنه قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ (القيامة: ٢٢ – ٢٣).

وإذا عدي بالفاء كان معناه الفكر وإن لم يصاحبه رؤية العين.

ومن هنا أطلق النظر في عرف المعنيين بالعلوم على التفكر.

يقول المناوي (ت: ١٠٩٣هـ): (النظر: طلب المعنى بالقلب من جهة الذِّكر كما يُطلب إدراك المحسوس بالعين.) [(٢)]

ونقل التهانوي: (ت: ١١٥٨هـ): أن له تعريفات بحسب المذاهب:

فمنهم من يرى أنه اكتساب المجهول بالمعلومات السابقة، فيعرفونه بأنه: ترتيب أمور معلومة أو ترتيب علوم لتؤدي إلى مجهول. فيكون هو الفكر.....

وبعضهم يعرفه بأنه: ملاحظة العقل ما هو حاصل عنده لتحصيل غيره.

ونقل أن التحقيق الذي يرفع النزاع هو أن النظر والفكر فعل صادر عن النفس لاستحصال المجهولات من المعلومات. [(٣)]

وبهذا يعلم أن العلاقة بين النظر والتفكر في اللغة وفي عرف العلماء أن النظر يطلق ويراد به التفكر أحياناً.

---

(١) المعجم الوسيط (٩٣١).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ٧٠١ ونسبه للحرالي.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٧٠٦-١٧٠٧).

النظر في القرآن:

إن تتبع آيات النظر في القرآن من خلال سياقاتها يوصل إلى نتيجة قريبة من معناه لغة، فقد جاء النظر في القرآن بالمعاني التي جاء لها في اللغة. وهي كما يأتي:

أولاً: ما يجمع بين التفكر بالقلب والمشاهدة بالعين.

وهذا أكثر ما جاء استعمال النظر فيه في لغة القرآن، ولعل هذا هو السبب في قول الراغب: (النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته.)[١]

فإن المعنى الرئيس الذي يكثر في آيات النظر في القرآن هو معاينة الشيء بالعين والتأمل فيه بالقلب. فقد اجتمع المعنيان في لفظ النظر في آيات القرآن كثيراً، وقد يظهر أحدهما في نص أكثر من الآخر. بحسب المنظور.

وذلك أن المنظور قد يكون محسوساً، وقد يكون غير محسوس، فالأول يمكن أن يرى ويتأمل، والثاني لا يمكن أن يرى، فالأمر بالنظر إليه أمر بالتأمل فيه.

والمحسوس قد يكون باقياً فيمكن رؤيته، وقد يكون مندثراً بائداً فالأمر بالنظر إليه يعني ـ غالبا ـ التأمل فيه.

ثم الباقي من المحسوسات قد يستطيع المكلف أن يذهب إليه ويراه بعينه، وقد يشق عليه ذلك لبعده وصعوبة الذهاب إليه، أو تستحيل عليه رؤيته لعدم إبصاره، فيصعب حصر الأمر بالنظر إليه حينئذ بالرؤية بالبصر.

وفي سياقات القرآن ما يؤثر أيضاً في قرب هذا المعنى أو ذاك، وقد جاء بهذين المعنيين معاً في عشرة مواضع:

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (٥١٨).

١ـ **النظر في تفضيل بعض الناس على بعض** في قوله تعـالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلًا ﴾ (الإسراء : ٢١).

فإن الراجح هنا أن النظر شامل للمعنيين.

أما النظر بالبصر؛ فلأن التفاضـل قـد يكـون مـشاهداً مثـل التفاضـل في الأموال والأولاد والأعراض الدنيوية. وهو قول أبي حيان (ت: ٧٤٥هـ).[١]

وأما التأمل بالقلب فلأن التفاضل قد يكون غير مشاهد مثل التفاضـل في الإيمان والأخلاق ونحوها، فإنها معنوية لا ترى، إنما ترى آثارها.

وهو قول أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، و الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، وابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ).[٢]

٢ـ **النظر إلى الطعام** ونحوه في قولـه تعـالى: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (البقرة : ٢٥٩).

فقد نص بعض المفسرين على أن النظر هنا هو الرؤية بالعين، ومن أولئـك الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وأبو حيان (ت: ٧٤٥ هـ).[٣] ونص آخرون عـلى أن الأمر بالنظر أمر بالاعتبار.[٤]

ولا تعارض بين القولين ؛ فإن النظر هنا يراد بـه النظـر بـالعين مـصحوباً بالتفكر والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة قدرة الله تعالى.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان(٦/ ١٩).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (٥/ ١٦٥)، روح المعاني (١٥/ ٤٨)، التحرير والتنوير (١٥/ ٦٣).

(٣) انظر جامع البيان (٤/ ٥٩٣)، والبحر المحيط (٢/ ٣٠٣-٣٠٥).

(٤) التحرير والتنوير (٣/ ٣٦).

وكذلك في قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ (عبس: ٢٤-٣٢)

فقد نص القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) على أن النظر هنا (نظر القلب بالفكر؛ أي ليتدبرْ كيف خَلَق الله طعامَه الذي هو قِوام حياته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، ليستعد بها للمعاد.)[١]، ونص ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ) على أنه من نظر العين بسبب تعديته بحرف «إلى» إشارة إلى أن العبرة تحصل بمجرد النظر في أطواره.[٢]، وهو في الحقيقة بين الأمرين النظر بالعين والتأمل بالقلب.

٣ـ النظر في العاقبة.

والعاقبة مصدر كالعافية، وهي منتهى الأمر ومآله، والمراد بها منتهى أمر المكذبين بالرسل من الأمم المعذبة السابقة لهذه الأمة.[٣]

والمراد بالنظر إليها النظر بالعين والتأمل بالقلب، ويدل على ذلك أمور:

أحدها: أن نظر العين ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو وسيلة لنظر القلب وللتفكر والاعتبار، ولهذا فإن ارتباط النظر بالسير في الأرض كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧).وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: ١١).وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم: ٩)

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ٢٢٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ١٢٩ -١٣٠).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ١١٤).

لا يعني قصر النظر هنا على النظر بالبصر دون تفكر وتأمل ؛ ولهذا جاء القولان. [(١)]

فمن قال: المراد النظر بالبصر نظر إلى المعنى الذي يشير إليه السياق، ومن قال بالفكر نظر إلى المقصود والغاية، فالصواب الجمع بينهما. [(٢)]

ثانياً: أن مما يؤكد ذلك أن النظر قد جاء في عواقب بعض السابقين غير مقترن بالسير كما في قوله: ﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ (الأعراف : ٨٤)، وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ (الأعراف : ١٠٣)، ونحو ذلك، فكان الأقرب التفكر والتأمل عند أكثر المفسرين. [(٣)]

وهذا دليل على أن المراد شمول النظر للبصر والبصيرة.

الثالث: أن الله تعالى حض على النظر في عواقب بعض المكذبين للرسل الذين تلاشت آثار عواقبهم ولم يبق لها أثر حتى يمكن رؤيته وفي ذلك دليل على أن النظر لتلك العواقب أريد به التفكر فيها من خلال ما عرضه القرآن منها.

قال تعالى عن قوم نوح: ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ** ﴾ (يونس : ٧٣)، وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾ (القصص: ٤٠)، وقال تعالى عن قوم صالح: ﴿ **وَكَانَ**

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٥١٢)، البحر المحيط لأبي حيان(٣/ ٦٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ١١٤)، روح المعاني للآلوسي(٧/ ١٠٣)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/ ٥٦).

(٢) انظر: روح المعاني للآلوسي (٧/ ١٠٣).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (١٠/ ٣٤١)، الوسيط للواحدي (١/ ٤٠٥، التفسير الكبير للرازي (١٤/ ١٤٠، ١٤٣،)، البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٣٣٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ٢٤٦، ٢٥٧)،

فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (النمل: ٤٨ – ٥١)، وقال عن كثير منهم: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الزخرف : ٢٥).[١]

الرابع: أن عاقبة التكذيب ليست خاصة بالدنيا، وإنما هي شاملة للدنيا والآخرة، ولفظ عاقبة قد جاء مضافاً إلى معرفة في أكثر نصوصه: نحو: «عاقبة الظالمين، عاقبة المكذبين، عاقبة المنذرين، عاقبة الذين من قبلهم»، والمضاف إلى المعرفة من صيغ العموم. فالعاقبة عند الإطلاق تشمل المصير في الدنيا والآخرة.

فأما في الدنيا فقد يمكن رؤيته، وأما في الآخرة فهي غيب من الغيب لا يمكن مشاهدته، وإنما يمكن التفكر في صوره التي أوردها الله تعالى في القرآن.

الخامس: أن لفظ النظر يطلق على الرؤية والتأمل، فهو كالمشترك. والمشترك إذا جاز حمله على جميع معانيه، بدون إشكال فهو الأولى. ولهذا وجدنا من العلماء من يحمله على المعنيين.[٢]

٤- النظر إلى الثمر إذا أثمر في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام : ٩٩)

فإن النظر هنا يشمل التأمل بالقلب لا مجرد الإبصار.[٣]

---

(١) انظر: روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٦٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٥/ ٢٩١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/ ١٢٨).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٣٢٨)، البحر المحيط لابن عطية (٤/ ١٩٥)، لباب التأويل للخازن (٢/ ١٤٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٠٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ١٦٧)، روح المعاني للآلوسي(٧/ ٢٤٠).

٥ـ النظر في السموات والأرض وملكوتهما.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (الحجر: ١٦)

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ (ق: ٦-٧).

فإن المراد بالنظر في هذه الآيات النظر بالعين والتفكر بالقلب، ولهذا كان المعنيان حاضرين في التفسير، فمنهم من فسرها بالنظر المقترن بالاعتبار، ومنهم من اقتصر على التفكر، ومنهم من نص على المعنيين.[(١)]

والتزيين الوارد في بعض الآيات شامل للتزيين الحسي المرئي بالبصر بالكواكب والنجوم، والتزيين المعنوي المدرك بالعقل والقلب المتمثل في حسن الحكمة وبديع الصنع وترتيبها على نظام بديع.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري(١٠/ ٦٠٣، ١٤/ ٣٠، ٢١/ ٤٠٨)، بحر العلوم للسمرقندي(٢/ ٢٥٢، ٣/ ٣١٦)، الوسيط للواحدي (١/ ٥٩٠)، معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢١٩، ٤/ ٢٢١)، الكشاف للزمخشري (٣٩٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٤٨٣، ٣/ ١٤٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٦٨، ٣٨٧)، التفسير الكبير للرازي(١٧/ ١٣٥، ١٩/ ١٣٤، ٢٨ / ١٣٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٨/ ٣٨٦، ١٠/ ١٠)، أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٧٨)، لباب التأويل للخازن (٣/ ٥٠)، البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٤٣٠، ٥/ ١٩٣، ٤٣٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥١٧، ٤/ ٢٩٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ٢٩٩، ٤/ ١٨٧، ٥/ ٧٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٢٥)، روح المعاني للآلوسي (١٤/ ٢٣)، التحرير والتنوير (٩/ ١٩٦، ١١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦، ١٤/ ٢٩، ٢٦/ ٢٨٥).

والسياق شاهد في آية سورة ق بأن المراد بالنظر بالبصر التفكر والتبصر؛ لقوله في آخر الآيات ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق : ٨).

٦ـ النظر كيف بدأ الخلق. في قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت: ٢٠)

فقد فسر النظر هنا بالنظر بالبصر، وفسر بالتأمل والاعتبار، وهو شامل للمعنيين، فأما الأول فبإشارة السياق بقرينة السير، وأما الثاني فهو المقصود والغاية، فلا يمكن أن يكون غير مراد. [(١)]

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): (وإنما أمر بالسير في الأرض لأن السير يدني إلى الرائي مشاهدات جمة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحوياتها ويمر على منازل الأمم حاضرها وبائدها فيرى كثيرا من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها، فإذا شاهد ذلك جال نظر فكره في تكوينها بعد العدم جولاناً لم يكن يخطر له ببال حينما كان يشاهد أمثال تلك المخلوقات في ديار قومه.) [(٢)]

٧ـ النظر إلى آثار رحمة الله: في قوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الروم : ٥٠)

فإن المراد برحمة الله المطر، والمراد بآثارها اخضرار الأرض وألوان الجنات والثمار والأشجار. وتلك مرئية بالبصر، والنظر تعدى بإلى التي يتعدى بها إذا كان بمعنى الرؤية بالبصر، والآية في سياق الاستدلال على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى.

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٥/ ٤٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٣/ ٣٣٦)، البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ١٤٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٧/ ٦٥)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٣٠).

ولذلك فإن النظر هنا شامل لنظر العين ونظر القلب بالتفكر والاعتبار والاستدلال.

قال: القرطبي (ت: ٦٧١ هـ): (أي انظروا نظر استبصار واستدلال؛ أي استدلوا بذلك على أن من قدر عليه قادر على إحياء الموتى) [(١)].

٩ـ النظر إلى الإبل: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية : ١٧-٢٠)

فإن الإبل محسوسة، والنظر تعدى بـ«إلى»، فهذا يدل على معنى الرؤية بالعين، ثم الآية في سياق الاستدلال على قدرة الله تعالى، فغاية النظر الاستدلال والاعتبار، ولهذا قال غير واحد بأن النظر هنا بمعنى الاعتبار.

قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): (أفلا ينظرون إلى الإبل، فيعتبرون بها، ويعلمون أن القُدرة التي قدَر بها على خلقها، لن يُعجزه خلق ما شابهها) [(٢)].

١٠ـ النظر الذي طلبه أصحاب الكهف من أخيهم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف:١٩).

فإن المراد بـ «أزكى» أكثر، وأحل وأطهر، على الراجح.

وإذا كان كذلك فالنظر لابد أن يشمل نظر العين ونظر القلب. فإن الكثرة تدرك بمجرد النظر بالعين، ولكن الطهارة والسلامة من الحرام لا يكفي فيها مجرد النظر بالعين بل لابد من السؤال والتدبر والتفكر وهو نظر القلب والعقل.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٤٥).

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٣٣٨)، وانظر: الكشاف للزمخشري (١١٩٨).

ولهذا نص أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ) على أن النظر هنا يجوز أن يكون من نظر العين ويجوز أن يكون من نظر القلب.[(١)]

ثانياً: جاء لفظ النظر والمراد به التفكر بالقلب في المواضع الآتية:

١- النظر إلى كيفية بيان الآيات وتصريفها، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ (المائدة : ٧٥) .

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾ (الأنعام : ٤٦)

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ (الأنعام : ٦٥).

وأكثر من فسر الآيات من المفسرين على أن المراد بالآيات في الآيات الثلاث: الأدلة، أو العلامات، أوالبراهين والحجج، أو الآيات القرآنية.[(٢)]

وعليه فإن الآيات معقولة وليست محسوسة.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٥/)٢١٣، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٥)، الكشاف للزمخشري(٦١٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٦)، البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٠٧).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري(٨/ ٥٨٣، ٩/ ٢٥١، ٣١٠)، بحر العلوم للسمرقندي(١/ ٤٣٢، ٤٦٩)، الوسيط للواحدي(١/ ١٥٤، ٣٥٩)، معالم التنزيل للبغوي(٢/ ٩٧)، الكشاف للزمخشري(٣٠٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٢٩٣، ٣٠٣). التفسير الكبير للرازي(١٣/ ٢٠)، مدارك التنزيل للنسفي(١/ ٢٩٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٤٤)، البحر المحيط لأبي حيان(٣/ ٥٤٦، ٤/ ١٣٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٦/ ٢٥١، ٤٢٨، ٧/ ١١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود(٣/ ٦٨، ١٣٤)، فتح القدير للشوكاني(٢/ ٦٤، ١١٧، ١٢٦)، روح المعاني للآلوسي(٦/ ٢٠٩، ٧/ ١٥٣، ١٨١).

وعليه فإن النظر هو التأمل ؛ ولهذا نص ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): على أن المراد بالأمر بالنظر في الآية الأولى الأمر بالعلم.[١] أي العلم الناتج عن التأمل والنظر.

وقال الطبري (ت: ٣١٠هـ): في النظر في الآية الثالثة من هذه الآيات: (انظر يا محمد بعين قلبك)[٢].

ومما يرجح أن المراد بالآيات هنا الآيات العقلية من حجج وبراهين ما يأتي:

الأول: سياقات الآيات فكل الآيات الثلاث سبق الأمر بالنظر فيها دليل عقلي.

فقي الآية الأولى استدلال بقدرته تعالى على أخذ السمع والبصر والختم على القلوب، وعدم قدرة غيره على الإتيان به.

وفي الآية الثانية: استدلال بقدرته تعالى على بعث العذاب من جهات شتى.

وفي الآية الثالثة: استدلال بحاجة المسيح وأمه لأكل الطعام على أنهما من البشر، وأنه ﷺ رسول قد خلت من قبله الرسل.

الثاني: أن الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أنه إذا استعمل لفظ التصريف في الآيات أن تكون آيات القرآن المتلوة من الحجج والبراهين.

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا** ﴾ (الإسراء : ٤١)

وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** ﴾ (الإسراء : ٨٩)

وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا** ﴾ (طه : ١١٣)

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ٢٨٧).

(٢) جامع البيان(٩/ ٣١٠).

وقـــال تعـــالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف : ٥٤)

٢ـ النظر في كيفية افتراء الذين كفروا على الله الكذب في قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء : ٥٠)

فإن النظر هنا بلا شك بالقلب والعقل بالتفكر والتأمل تعجباً من جرأتهم في كذبهم على الله تعالى، فإن الكذب معنى يعقل ويتفكر فيه وليس محسوساً ينظر إليه بالعين.

٣. النظر في كيفية كذبهم على أنفسهم: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام : ٢٤)

.قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثان والأصنام في الآخرة، عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم: والله يا ربنا ما كنا مشركين، واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها متخلقين في الدنيا من الكذب والفرية.

ومعنى النظر في هذا الموضع: النظر بالقلب لا النظر بالبصر، وإنما معناه: تبيّن، فاعلم كيف كذبوا في الآخرة)[1].

٤ـ النظر في كيفية ضربهم الأمثال للرسول ﷺ: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء : ٤٨)

قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): (يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثّلوا لك الأمثال، وشبهوا لك الأشباه، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون فَضَلُّوا يقول: فجاروا عن قصد السبيل بقيلهم ما قالوا فَلا

(١) جامع البيان(٩/ ١٩٣)، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٢٧٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٦/ ٤٠٣)، والبحر المحيط لأبي حيان(٤/ ١٠٠).

يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً يقول: فلا يهتدون لطريق الحقّ لضلالهم عنه وبُعدهم منه، وأن الله قد خذلهم عن إصابته، فهم لا يقدرون على المَخْرَج مما هم فيه من كفرهم بتوفقُّهم إلى الإيمان به)[١].

٥ ـ ألفاظ النظر في سورة النمل، وهي:

نظر سليمان في خبر الهدهد، ونظر الهدهد في رد ملكة سبأ بعد إلقائه الخطاب إليها في قوله: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (النمل: ٢٧-٢٨)

نظر ملكة سبأ في قوله: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣)

ونظرها في نتيجة هديتها إلى سليمان في قوله: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ٣٥).

ونظره في اهتدائها إلى عرشها من عدمه: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل: ٤١)

إذ لم يختلف المفسرون في أن ألفاظ النظر هنا بمعنى التأمل والتفكر؛ ولهذا قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في الآية الأولى: (من النظر الذي هو بمعنى التأمل والتصفح.)[٢].

وقد أورد أبو حيان (ت: ٧٤٥ هـ): في معنى نظر الهدهد إلى جواب رسالة سليمان قولاً آخر بصيغة التضعيف وهو أنه بمعنى الانتظار وجعله متأخراً؛ وذلك يدل على تأخره عنده في القوة.[٣]

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٦١٣).

(٢) الكشاف(٧٨١)، وانظر: التفسير الكبير (٢٤/ ١٦٦)، و الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٨٩)، و البحر المحيط(٧/ ٦٨).

(٣) انظر: البحر المحيط(٧/ ٦٨)

٦ـ نظر الوليد بن المغيرة الوارد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ﴾ (المدثر: ١٨-٢١)

فإن جمهور المفسرين على أن النظر هنا بمعنى نظر العقل، لدلالة السياق، والمعنى: أعاد التفكير، وتروّى.(١)

٧ـ نظر إسماعيل في مسألة رؤيا أبيه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢)

٨ـ نظر النفس ما قدمت لغد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)

٩ـ نظر الإنسان مم خلق في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ (الطارق: ٥-٧)

فكل ألفاظ النظر في هذه الآيات بمعنى الفكر عند المفسرين.

وقد جاء لفظ النظر والمراد النظر بالعين في المواضع التالية:

١ـ نظر السامري إلى إلهه: في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ (طه: ٩٧)

٢ـ النظر إلى البقرة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ (البقرة: ٦٩)

٣ـ نظر بني إسرائيل بعد إغراق آل فرعون ونجاتهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٠)

---

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني(٦/ ٩٣)، معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٤١٦)، التفسير الكبير للرازي(٣٠/ ١٧٧)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٢٦)، روح المعاني للآلوسي(٢٩/ ١٢٤).

٤ـ نظر بني إسرائيل عندما أخذتهم الصاعقة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥)

٥ ـ نظر الكفار إلى الرسول ﷺ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يونس: ٤٣)

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٩٨)

٦ـ نظر إبراهيم إلى النجوم في قوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ (الصافات: ٨٨-٨٩)

فإن النظر في هذه الآيات عند عامة المفسرين بمعنى النظر بالبصر، وهو ما يتبادر إلى الذهن، والسياق ظاهر في دلالته على ذلك.

والقول بأنه: التأمل والتفكر قول ضعيف في بعض هذه المواضع كنظر بني إسرائيل لغرق فرعون وقومه ونجاتهم.(١)

وقد جاء النظر في القرآن بمعنى الانتظار: ومن ذلك الآيات التالية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٠٤).

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (البقرة: ٢١٠).

﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٢).

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ١٤٢)، روح المعاني للآلوسي(١/ ٢٥٦).

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (الأنعام : ١٥٨).

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (الأعراف : ٥٣).

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ (ص : ١٥).

النتائج:

من خلال دراسة معاني الألفاظ التي جاءت بمفهوم التفكر في القرآن الكريم، وهي التفكر، والنظر. يمكن استنتاج ما يأتي:

١ـ أن مفهوم التفكر في القرآن الكريم يقوم على أربعة مكونات:

الأول: إعمال العقل بقصد وكثرة وعمق.

الثاني: الحقائق التي يتم الإعمال فيها وهي مادة التفكر.

الثالث: النتيجة التي يبتغى الوصول إليها من التفكر.

الرابع: العبرة، بتحقق مقصود التفكر من العلم والعمل.

٢ـ يمكن تعريف مفهوم التفكر في القرآن بأنه: **كثرة إعمال العقل في الحقائق المعلومة لمعرفة ما تدل عليه عند اجتماعها والتأليف بينها من حقائق جديدة، والاعتبار بها.**

فأما قولي « كثرة إعمال العقل » فيخرج به الخواطر العابرة أو التأمل العارض ؛ فإنه لا يعد تفكراً ؛ إذ ليس فيه كثرة ولا تكلف ولا قصد وهي المعاني التي تكررت بشكل دائم في ألفاظ التفكر في القرآن الكريم.

وأما قولي « في الحقائق المعلومة » فقيد للتفكر بأنه يكون في حقيقة أي معلومة صحيحة، وعليه فإن التفكر لابد أن يكون في معلومات، ولابد أن تكون المعلومات صحيحة، ولا يمكن أن يسمى التأمل الذي يفتقد إلى ذلك تفكراً.

وأما قولي: «لمعرفة ما تدل عليه من حقائق » فهذا قيد يخرج التأمل الذي لا هدف منه، ويبين أن النتيجة جزء لا يتجزأ من عملية التفكر في القرآن.

وأما قولي: «والاعتبار بها» فهو قيد يبين أن مفهوم التفكر في ضوء القرآن يتضمن الاعتبار.

٣ـ يطلق النظر في بعض موارده بمعنى التفكر.

المبحث الثاني
آثار مفهوم التفكر في القرآن الكريم

لقد كان للمفهوم الذي أعطاه القرآن للتفكر، والدور الذي علقه به باعتباره وسيلة للمعرفة والعلم آثار عظيمة فيما بعد: منها:

١ـ **تطور مفهوم التفكر عند العلماء.** فقد اتسع مفهوم التفكر عند العلماء بعد نزول القرآن وأصبح يتضمن كثيراً من المعاني التي أشار إليها القرآن، بينما كان يتصف بالعموم وعدم التحديد في لسان العرب قبل نزول القرآن.

ونظرة سريعة لكلام العلماء عن التفكر تظهر ذلك.

وأول من حاول تعريف التفكر ـ فيما أعلم ـ السمعاني (ت: ٤٨٩هـ) إذ عرّفه بأنه: تصرف القلب في طلب معاني الأشياء، أو طلب المعنى من الأشياء فيما يتعلق بالقلب [(١)].

وفي هذا التعريف إشارة إلى نتيجة التفكر. وهي أمر أشار إليه القرآن، ولم يكن موجوداً في مفهوم التفكر في لسان العرب.

ـ ثم جاء الراغب (ت: ٥٠٢هـ) فعرف التفكر بأنه: جولان الفكرة وهي قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم بحسب نظر العقل. وأفاد أنه يستعمل في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها [(٢)].

وفي هذا التعريف يبين أن التفكر وسيلة للمعرفة والعلم، وأنه يُسعى به للوصول إلى الحقائق. وهي معاني أضافها القرآن لمفهوم التفكر.

---

(١) انظر: تفسير القرآن (٣/ ٧٦، ٤/ ٢٠٤).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (٣٩٨).

ثم جاء الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) فعرفه بأنه إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة.

ومثّل له بأن يعرف مَن مَالَ إلى العاجلة وأثر الحياة الدنيا حقيقتين: أولاهما: أن الأبقى أولى بالإيثار. والثانية: أن الآخرة أبقى ؛ فيحصل من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة، وهي: أن الآخرة أولى بالإيثار. إذ لا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين.

وبيّن أن النظر والتفكر يتفقان في طلب كل منهما معرفة ثالثة.

وأشار إلى أن فائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة.

وأن المعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت فيه على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى، فالمعرفة نتاج المعرفة، فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر، وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية.

وبيّن أن أكثر الناس منعوا الزيادة في العلوم بأحد سببين:

الأول: فقدهم المعارف الأساسية التي بها تستثمر العلوم. وفي ذلك بيان لأهمية مادة التفكر من المعلومات الأساسية.

الثاني: عدم إحسانهم لصناعة التفكر باستعمال وتأليف وإيقاع الازدواج المفضي إلى النتاج فيها. وفي هذا بيان لأهمية ممارسة التفكر.

وبيّن أن التفكر أكثره بالتعلم والممارسة، وإن كان قد يعرف بالفطرة [(١)].

وهذه الحقائق التي تتعلق بالتفكر لاشك أن الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) استفادها من حديث القرآن عن التفكر، والمفهوم الشامل الواسع الذي أعطاه إياه.

---

(١) انظر: الإحياء (٤/ ٤٥١-٤٥٣).

وأكثرها قد سبق ذكرها على أنها مما تضمنه مفهوم التفكر في القرآن الكريم.

والبقية مما يبنى عليه ويستفاد من الحقائق القرآنية بالتفكر.

وبهذا يعتبر الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) أول من توسع في دراسة التفكر، واستفاد من حديث القرآن عن هذا الأسلوب التربوي العلمي الفريد.

ثم لم يأت من عرض لموضوع التفكر من المفسرين وغيرهم بجديد على ما سبق حتى جاء شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) فعرض لهذا الأسلوب في مواضع من كتبه باسم النظر أو التفكر فأضاف أموراً مما دل عليها القرآن في مفهوم التفكر.

من ذلك أنه بيّن أن (الطالب للعلم بالنظر والاستدلال والتفكر والتدبر لا يحصل ذلك إن لم ينظر في دليل يفيده العلم بالمدلول عليه، ومتى كان العلم مستفاداً بالنظر فلابد أن يكون عند الناظر من العلم المذكور الثابت في قلبه ما لا يحتاج حصوله إلى نظر، فيكون ذلك المعلوم أصلاً وسبباً للتفكر الذي يطلب به معلوماً آخر، ولهذا كان الذكر متعلقاً بالله ؛ لأنه سبحانه هو الحق المعلوم، وكان التفكر في مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [١].

كما بيّن أن آلة الفكر ومحله القلب، وأن القلب خلق ليعلم به الأشياء وتوجهه نحو الأشياء ابتغاء العلم بها هو الفكر والنظر [٢].

ثم جاء تلميذه ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) فأسهب في الحديث عن التفكر.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٧).

فعرفه بأنه: إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منها معرفة ثالثة [١]. وهذا نفس تعريف الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، ومثل له بمثاله.

وبيّن أن حقيقته هي: طلب القلب ما ليس بحاصل من العلوم من أمر هو حاصل.

موضحا أنه إن لم يكن ثم مراد يكون موردا للفكر استحال الفكر ؛ لأن الفكر بغير متعلق متفكر فيه محال، وتلك الموارد هي الأمور الحاصلة، ولو كان المطلوب بها حاصلا عنده لم يتفكر فيه.

وبيّن أن المتفكر ينتقل من المقدمات والمبادي التي عنده إلى المطلوب الذي يريده [٢].

وفي هذا بيان لأهمية مادة التفكر من المعلومات السابقة.

كما تحدث عن جوانب كثيرة تتعلق بأنواع التفكر، ومجاريه، وأهميته وفضائله، وثماره ونحو ذلك.

وقد كان للمفهوم الذي وضعه القرآن للتفكر كأسلوب استدلالي تربوي علمي أثر عظيم في حديث ابن القيم (ت: ٧٥١هـ)، ونظرة عابرة إلى بعض الحقائق التي ذكرها ابن القيم وسبقت الإشارة إليها تُظهر أن تلك الحقائق كانت ظاهرة في مفهوم التفكر في ضوء القرآن من خلال ما سبق تفصيله.

ولما دخلت الفلسفة والمنطق في العلوم الإسلامية جاء من تحدث عن الفكر والتفكر من جوانب عقلية منطقية بعيداً عن كونه عبادة، وأسلوباً لتغيير السلوك، فعرفوا الفكر بأنه ترتيب المقدمات على وجه منتج [٣].

أو ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول [٤].

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٤٢).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٦٧-٦٨).

(٣) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري(٢/ ٣٢٩).

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي(٥٦٣).

ثم جاء العصر الحديث الذي كان للمدارس الغربية أكبر الأثر فيه، ومن ثم نشأت الدراسات الحديثة متأثرة بالتركيز على الدنيا والاهتمام بها والغفلة عن الآخرة، وعن البعد الإيماني للأعمال، تأثراً بالنظرة الغربية لمسألة الدنيا والآخرة، التي تركز على الدنيا وتغفل الآخرة. فكان من آثار ذلك في هذه المسألة انتقال التركيز إلى مصطلح التفكير بدلاً من مصطلح التفكر، والاقتصار من المفهوم القرآني لمصطلح التفكر على الجانب المعرفي الاستدلالي، والغفلة عما سواه من جوانب تربوية وعملية.

والفرق بين التفكر والتفكير من أوجه:

أحدها: أن التفكر أعمق من التفكير سواءً في المبنى اللغوي للكلمة أو في الطريقة والمحتوى.

الثاني: أن التفكر أوسع ؛ لأنه لا ينحصر في الدنيا ومشكلاتها، وإنما يدلف إلى الآخرة، وما فيها من نعيم.

الثالث: أن التفكر يتميز بأنه يتضمن الاعتبار، العبرة التي تعني أن يعبر المتفكر بتصوراته من الدنيا إلى الآخرة، ومن المخلوقات إلى الاستدلال بها على خالقها وما يستحقه من الاعتقاد والعمل، فيؤمن بما يوصله إليه التفكر ويلتزم بما يدل عليه من تمجيد لله وتوحيد له.

الرابع: أن التفكير يركز على العقل ويستبعد العاطفة والانفعال، أما التفكر فينطلق من ضيق المادة إلى عالم الروح اللانهائي، و(يحرك جميع نشاطات المؤمن المعرفية الداخلية والخارجية. فهو يستفيد من الخبرات السابقة، ويربطها بإدراكه الحسي للمخلوقات التي يتفكر فيها ويضفي عليها من تصوراته وخيالاته لما كانت عليه في الماضي وما يمكن أن تصير إليه في مستقبل حياتها. ويؤجج كل ذلك بعاطفة جياشة وخشية صادقة لله ﷻ)[(١)].

---

(١) التفكر من المشاهدة إلى الشهود: مالك بدري(٣٣).

ومن هنا نجد الدراسات الحديثة في هذه المسألة تركز على التفكير كأسلوب معرفي فقط يسعى لتحصيل المعارف وتوظيفها في التطور والابتكار وتحسين حياة الإنسان الدنيا، حتى الدراسات العربية هي كذلك لاعتمادها بشكل أو بآخر على الدراسات الغربية عن طريق الترجمة، أو عن طريق النشأة الغربية لما يسمى بالعلوم الإنسانية، كعلم النفس والاجتماع ونحوها.

واليوم وبعد أن فشلت المدارس الأولى في النهضة الحديثة ـ التي تعاملت مع الإنسان مجرداً من روحه، وأسقطت من حسابها العامل الروحي اكتفاء بالعوامل النفسية والاجتماعية والبيولوجية والحضارية كمكونات وحيدة للسلوك الإنساني ـ عاد الاهتمام من جديد بالوسائل العقلية الداخلية والتي يستخدمها الإنسان في تحليل وتصنيف المعلومات وتغيير وتوجيه السلوك فعاد الاتجاه لإظهار قيمة التفكر من الناحية العلمية والدينية.

فتمكن الباحثون في علم النفس المعرفي من التوصل إلى أن ما يفكر فيه الإنسان هو الذي يؤثر على معتقداته وسلوكه، فإن كان تفكيره في صنع الله ونعمه عليه كان ذلك سبباً في زيادة إيمانه والارتقاء بأعماله وسلوكه، وإن كان تفكيره في ملاذه وشهواته صرفه ذلك عن دينه وانحط سلوكه، وإن كان تفكيره في مخاوفه وأحاسيسه بالإحباط والفشل كان ذلك سبباً في مرضه النفسي.ومن ثم نشأ العلاج بالتركيز على تغيير التفكير الشعوري عندهم.

والاستنتاجات التي توصل إليها علماء النفس المعرفي بعد سنين طويلة من البحث العلمي تؤكد صدق ما قرره الإسلام من أن التفكر في خلق الله هو العمود الفقري للإيمان الذي ينبثق عنه كل عمل خير.

غير أن مفهوم التفكر ودوره في حياة الإنسان عندهم ما يزال بعيداً جداً عن المفهوم الإسلامي الذي يربط التفكر بالله وبشريعته الخاتمة وكتابه المعصوم، بينما تتيه تلك الدراسات عندهم في مجاهيل الباطل.

وما أروع تمثيل بعضهم للتفكر الإسلامي والتأمل الارتقائي بغير عقيدة سليمة وتصور صحيح للكون والحياة كمثل محارتين متشابهتين في شكلهما الخارجي، جاء بهما غواص من قاع البحر. إحداهما تحمل في أحشائه اللؤلؤ النادر ولا تحمل الأخرى غير بقايا حيوان بحري صغير لا يسمن ولا يغني من جوع ! [(١)].

٢ـ اتساع دائرة التفكير عند العرب فقد اتسع التفكير عند العرب بعد نزول القرآن عنه قبل نزوله فأصبح يشمل الدنيا كلها، دون تحديد ببيئة، أو مكان، بل ويتسع ليدخل الآخرة بأحداثهما وما تدل عليه وتفسر به.

يقول سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ): (ومما يستدعي الانتباه ذلك التوجيه القرآني:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: ١١).

والسير في الأرض للاستطلاع والتدبر والاعتبار ؛ ولمعرفة سنن الله مرتسمة في الأحداث، والوقائع ؛ مسجلة في الآثار الشاخصة، وفي التاريخ المروي في الأحاديث المتداولة حول هذه الآثار في أرضها وقومها.. السير على هذا النحو، لمثل هذا الهدف، وبمثل هذا الوعي.. أمور كلها كانت جديدة على العرب ؛ تصور مدى النقلة التي كان المنهج الإسلامي الرباني ينقلهم إليها من جاهليتهم إلى هذا المستوى من الوعي والفكر والنظر والمعرفة.

لقد كانوا يسيرون في الأرض، ويتنقلون في أرجائها للتجارة والعيش، وما يتعلق بالعيش من صيد ورعي.. أما أن يسيروا وفق منهج معرفي تربوي.. فهذا كان جديدا عليهم. وكان هذا المنهج الجديد يأخذهم به ؛ وهو يأخذ

---

(١) انظر المرجع نفسه (١٥ـ٥٣).

بأيديهم من سفح الجاهلية، في الطريق الصاعد، إلى القمة السامقة التي بلغوا إليها في النهاية) [١].

٣ـ إنشاء المنهج الإيماني للبحث، وذلك أن مفهوم التفكر في ضوء القرآن ربط بين التفكر في خلق الله والاستجابة القلبية له بالتأثر بدلالة الخلق على خالقه، وما يتصف به من صفات الجلال والجمال، وما يستحقه من التسبيح والتقديس، وفي هذا توجيه للبحث لغرضه الأول وهو الإيمان بالله تعالى.

(والمنهج الإيماني لا ينقص شيئا من ثمار "المنهج العلمي" في إدراك الحقائق المفردة. ولكنه يزيد عليه ربط هذه الحقائق المفردة بعضها ببعض، وردها إلى الحقائق الكبرى، ووصل القلب البشري بها، أي وصله بنواميس الكون وحقائق الوجود، وتحويل هذه النواميس والحقائق إلى إيقاعات مؤثرة في مشاعر الناس وحياتهم ؛ لا معلومات جامدة جافة متحيزة في الأذهان لا تفضي لها بشيء من سرها الجميل ! والمنهج الإيماني هو الذي يجب أن تكون له الكرة في مجال البحوث والدراسات ليربط الحقائق العلمية التي يهتدي إليها بهذا الرباط الوثيق..) [٢].

٤ـ تطور الحياة. يقول ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): (ثم أودع سبحانه قوة التفكر وأمره باستعمالها فيما يجدي عليه النفع في الدنيا والآخرة، فركب القوة المفكرة من شيئين من الأشياء الحاضرة عند القوة الحافظة تركيبا خاصا، فيتولد من بين هذين الشيئين شيء ثالث جديد لم يكن للعقل شعور به، كانت مواده عنده لكن بسبب التركيب حصل له الأمر الثالث.

(١) في ظلال القرآن لسيد (٢/ ١٠٤٥).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٤٤٥٩).

ومن ههنا حصل استخراج الصنائع، والحرف، والعلوم، وبناء المدن والمساكن، وأمور الزراعة والفلاحة، وغير ذلك ؛ فلما استخرجت القوة المفكرة ذلك واستحسنته سلمته إلى القوة الإرادية العلمية فنقلته من ديوان الأذهان إلى ديوان الأعيان فكان أمرا ذهنيا ثم صار وجوديا خارجيا.

ولولا الفكرة لما اهتدى الإنسان إلى تحصيل المصالح ودفع المفاسد. وذلك من أعظم النعم وتمام العناية الإلهية.) [١].

وما قاله ابن القيم من الارتباط بين التفكر وبين تقدم العلم أمر يؤكده تاريخ تقدم العلم التجريبي للأمة الإسلامية، من خلال الكشوفات التي توصل إليها علماء المسلمين في كل حقل وميدان، بعد نزول القرآن وانتشار منهجه في التفكير في الحياة [٢].

وإذا عُلم ذلك أمكن تفسير تطور حياة المسلمين بعد نزول القرآن الكريم، وتبيّن أن للمفاهيم التي أتى بها ومنه مفهوم التفكر ودوره في الحياة أثر كبير في ذلك.

٥ـ التأسيس للنهضة العلمية الحديثة. وذلك أن منهج التفكير الذي جاء به القرآن من خلال مفهوم التفكر وغيره من الأسس التي تحدد دور العقل في الحياة وتبين أثره في تطويرها، وترسم له الطريق لذلك، كان السبب في الكشوفات والاختراعات التي قدمها علماء المسلمين في كل حقل وميدان فأذهلت العالم بأسره، وهي التي علمت أوربا الطريقة العلمية التي قامت على أساسها حضارتها الحديثة باعتراف مفكري الغرب العقلاء من أمثال زيغريد هونكة التي تؤكد أن باكون وجاليليو وغيرهم من علماء الغرب ليسوا هم الذين

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (٢٥٨).

(٢) انظر: التفكر من المشاهدة إلى الشهود لمالك بدري(١٠٢).

أسسوا البحث العلمي كما زعم مؤرخو الغرب، وإنما السابقون والمعلمون للعالم في هذا المضمار هم من المسلمين.[١].

(١) انظر: المرجع نفسه (١٠٤).

الخاتمة

وأخير وبعد هذه الجولة السريعة مع آيات القرآن الكريم في موضوع من مواضيعه، وهو موضوع التفكر، والبحث في مفهومه من خلال دلالات آياته في مواردها ومن خلال سياقاتها، يمكن استخلاص كثير من النتائج والفوائد المتعلقة بهذا البحث خصوصاً، والقرآن وعلومه عموماً، ولما كان المقام لا يتسع لسردها وتفصيلها كلها، نقتصر على أهمها: وهي:

١ـ التفكر من أهم الأعمال ؛ لأنه عمل القلب، كما أن المشاهدة عمل العين، والسمع عمل الأذن..

٢ـ في مفهوم التفكر في لغة العرب عموم.

٣ـ طور القرآن مفهوم التفكر ليصبح شاملاً واسعاً ذا منهج، ومكونات هي: العمل العقلي العميق، والمعلومة الصحيحة، والنتيجة، والعبرة.

٤ـ لفظ النظر في كتاب الله جاء في أكثر مواضعه في القرآن متضمناً للتفكر والتأمل.

٥ـ كان لتطوير القرآن لمفهوم التفكر والعناية به آثار عظيمة على اتساع الكتابة فيه نظرياً، وممارسته عند الأمة، وإنشاء المنهج الإيماني للبحث، والتأسيس لنهضة علمية، وصلت آثارها جميع الأمم، وكان من نتائجها ما نراه اليوم من تطور حياة الإنسان.

٦ـ مصطلح التفكر أعمق وأشمل وأدق من مصطلح التفكير.

٧ـ دراسة المفاهيم القرآنية من خلال آيات القرآن، لها ثمرات عظيمة، فهي تؤصل للعلوم، وتنشر هدي القرآن، وتسهل للأمة التحاكم إليه فهماً وسلوكاً.

٨ـ تقصير الأمة في العناية بالقرآن والرجوع إليه في كل ما يرد عليها، له آثار مدمرة على فكرها، وقربها من ربها ؛ إذ يؤدي إلى تغيير أفكارها وتأثرها بالفكر الباطل غرباً وشرقاً، ويعمق عزلتها عن القرآن وهديه، ويزيد من غربة الدين.

والله تعالى أعلم.

المصادر والمراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تأليف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، دار النشر: دار الراية للنشر – السعودية – ١٤١٨هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

٢. إحياء في علوم الدين. للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الآثار للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط٢/ ١٤٢٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد بن محمد العمادي (٩٠٠هـ ـ ٩٨٢م). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥هـ ـ ١٣٩٣هـ) السعودية: دار عالم الفوائد. ط١/ ١٤٢٦هـ. طبعة بإشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد.

٥. أنوار التنزيل. للقاضي البيضاوي. بيروت. دار الفكر.. د. ط/ د. ت.

٦. بحر العلوم تأليف: نصر بن محمد بن أحمد (أبو الليث السمرقندي). تحقيق: محمود مطرجي. بيروت، دار الفكر. ط١/ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. بيروت: دار ومكتبة الحياة. د. ط. د. ت.

٨. التبيان في أقسام القرآن لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، بيروت: دار الفكر. د. ط. د. ت.

٩. تفسير البحر المحيط. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ). تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، والدكتور زكريا عبد المجيد النوني، والدكتور أحمد النجولي الجمل. بيروت، دار الكتب العلمية. ط١/ ١٤٠٣هـ- ١٩٩٣م.

١٠. تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. تونس، الدار التونسية للنشر. د. ط / ١٩٨٤م.

١١. تفسير القرآن. للإمام أبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي. تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم وآخر. الرياض، دار الوطن. الطبعة الأولى / ١٤١٨هـ _١٩٩٧م.

١٢. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. للإمام محمد رشيد رضا. بيروت: دار الفكر. ط٢/ د. ت.

١٣. تفسير القرآن العظيم. للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠_٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد السلامة. الرياض، دار طيبة. ط١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٤. تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية – صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب

١٥. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية ط١/ ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٦. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨). اعتنى به، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: خليل مأمون شيحا. لبنان: دار المعرفة، والرياض: دار المؤيد.ط١/ ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٧. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٧٢٨هـ). ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١/ ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
١٨. التفكر من المشاهدة إلى الشهود: دراسة نفسية إسلامية: تأليف الدكتور مالك بدري. الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومصر: المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ط١ / ١٤١١هـ ١٩٩١م.
١٩. تهذيب اللغة. تأليف: أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق: محمد عوض مرعب. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ط/ ١: ٢٠٠١م.
٢٠. التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي. تحقيق: د. محمد رضوان الداية. بيروت دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر ط١/ ١٤١٠.
٢١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦ هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. قدم له: الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، الشيخ: محمد بن صالح العثيمين. المملكة العربية السعودية، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.ط/ ١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب. ط١/ ١٤٢٤هـ
٢٣. الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي. مطبعة دار الكتب المصرية. ط٢/ ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م.

٢٤. جمهرة اللغة. لابن دريد. تحقيق: رمزي منير بعلبكي.بيروت: دار العلم للملايين. ط١/ ١٩٨٧م.

٢٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة

٢٦. الرائد: معجم لغوي عصري. تأليف: جبران مسعود. بيروت: دار العلم للملايين. ط٦/ ١٩٩٠م.

٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ. بيروت، دار الفكر. د. ط/ ١٤٠٨هـ.

٢٨. زاد المسير في علم التفسير. تأليف: الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. بيروت، المكتب الإسلامي. الطبعة الرابعة / ١٤٠٧هـ_١٩٨٧م.

٢٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للعلامة محمد ناصر الدين الألباني. الرياض: مكتبة المعارف. ط٢/ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م

٣٠. السنن الصغرى، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي. المدينة المنورة: مكتبة الدار ط١/ ١٤١٠ - ١٩٨٩.

٣١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تأليف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، دار النشر: دار طيبة - الرياض - ١٤٠٢، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان

٣٢. شعب الإيمان. تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٠.

٣٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد لجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت، دار العلم للملايين.ط٤/ ١٩٩٠م.

٣٤. صحيح ابن خزيمة. تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري. تحقيق: د. محمد مصطفى الأعمي. بيروت: المكتب الإسلامي. د. ط/ ١٣٩٠ – ١٩٧٠.

٣٥. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. أشرف على طبعه: زهير الشاويش. بيروت: المكتب الإسلامي. ط٢/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٦. العرش وما روي فيه، تأليف: محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي أبو جعفر، دار النشر: مكتبة المعلا – الكويت – ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد بن حمد الحمود.

٣٧. العظمة، تأليف: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، دار النشر: دار العاصمة – الرياض – ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.

٣٨. العين. تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ). تحقيق: د. مهدي المخزومي. ود إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

٣٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني. بيروت، دار الفكر. د ط / د. ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٠. في ظلال القرآن. تأليف: سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ). القاهرة. دار الشروق. ط/ ١٠. ١٤٠١هـ ١٩٨١م

٤١. فيض القدير شرح الجامع الصغير. تأليف: عبد الرؤوف المناوي. مصر: المكتبة التجارية الكبرى. ط١/ ١٣٥٦هـ.

٤٢. القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب والفيروآبادي. تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة. بيروت، مؤسسة الرسالة. ط٢/ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٤٣. لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن (ت: ٧٢٥ هـ): ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين.بيروت: دار الكتب العلمية. ط١/ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٤٤. لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور. قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي.أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط. بيروت، دار الجيل، ودار لسان العرب. د. ط / ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي.: القاهرة: دار الريان للتراث، وبيروت: دار الكتاب العربي. د. ط/ ١٤٠٧هـ
٤٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، وساعده ابنه محمد. ط: إدارة المساحة العسكرية بالقاهرة: إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.
٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة (٥٤٦هـ). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت، دار الكتب العلمية.ط١/ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣ م.
٤٨. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تأليف: عبدالله بن أحمد النسفي (ت: ٧١٠هـ). تحقيق: مرواه محمد الشعّار. بيروت. دار النفائس. ط/ ١ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٤٩. المستدرك على الصحيحين. تأليف: محمد بن عبدالله، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية ط١/ ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٥٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل « أبو عبدالله الشيباني » مصر: مؤسسة قرطبة. د.ط/ د.ت.
٥١. مسند الروياني. تأليف: محمد بن هارون الروياني «أبو بكر ». تحقيق: أيمن على أبيو يماني. القاهرة: مؤسسة قرطبة ط١/ ١٤١٦هـ.
٥٢. معالم التنزيل. للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي. حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون. المملكة العربية السعودية، الرياض، دار طيبة. الطبعة الثانية / ١٤١٤هـ _١٩٩٣م.
٥٣. معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري. شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي. بيروت، عالم الكتب. ط١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٥٤. المعجم الأوسط. تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد. القاهرة: دار الحرمين د.ط/ ١٤١٥هـ.
٥٥. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. إخراج: إبراهيم أنيس وآخرين. د. ن. ط/ ٢. د. ت.
٥٦. معجم مفردات ألفاظ القرآن. للعلامة الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٣). تحقيق: نديم مرعشلي. بيروت. دار الفكر. د. ط. د. ت.
٥٧. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة، مكتبة الخانجي. ط٣/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
٥٨. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. للعلامة: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ). قدم له، وضبط نصه، وعلق عليه، وخرج أحاديثه: على بن حسن بن علي عبد الحميد الحلبي. راجعه: فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد. المملكة

العربية السعودية: الخبر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع. ط١/ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٩. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تأليف: أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عثمان الخشت.

٦٠. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للباحث العلامة محمد علي التهانوي. تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم. تحقيق: د. على دحروج وآخرين. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. ط١/ ١٩٩٦م.

٦١. النكت والعيون تفسير الماوردي. تصنيف: أبي الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي البصري. راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت، دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية. د. ط / د. ت.

٦٢. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨هـ. تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيره، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس. بيروت، دار الكتب العلمية. ط١/ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.